الدرس الثالث الحصة الثالثة الاخلاق ادب العالم في درسه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الاكمل على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين اللهم لا علم لنا الا ما علمتنا ولا سهل الا ما سهلته وانت تجعل الحزن اذا شئت سهلا فاجعل الحزن سهلا اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وفهما يا رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .اما بعد .السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبارك الله يومي ويومكم واعمالي واعمالكم ونفعني الله واياكم بهذا اللقاء بجاه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الشرفاء .مع درس جديد من دروس مادة الاخلاق ومع كتاب تذكره السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم لصاحبه الامام العلامة القاضي بدر الدين ابن جماعة الكناني الشافعي رحمه الله تعالى.

ووصل بنا الحديث الى النوع الرابع.

لا زلنا نتحدث في الفصل الثاني من الباب الثاني في قوله تحت عنوان في آداب العالم في درسه وصل بنا الحديث الى النوع الرابع

.يقول المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه في الدارين امين.
--الرابع ان يقدم على الشروع في البحث والتدريس قراءة شيء من كتاب الله تعالى تبركا وتيمنا. وكما هو العادة .فان كان ذلك في من مدرسة شرط فيها ذلك اتبع الشرط يعني من من العادات التي سار عليها غير واحد من العلماء في دروسهم انهم يبدأون دروسهم بتلاوة ايات من الذكر الحكيم تبركا وتيمنا بكلام الله سبحانه وتعالى .ويدعو عقب القراءة لنفسه وللحاضرين وسائر المسلمين .ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويسمي الله تعالى ويحمده ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم

وعلى اله واصحابه ويترضى عن ائمة المسلمين ومشايخه ويدعو لنفسه وللحاضرين ووالديهم اجمعين وعن واقف مكانه ان كان في مدرسة او نحوها جزاءا لحسن فعله وتحصيلا لقصده.

وهذه مثل هذه المقدمات هي المعروفة في مقدمات الكتب وفي مقدمات الدروس .وفي مقدمات الخطب .ان يبدأ بالبسملة ويثني بالحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وان يسأل الله التوفيق والامداد وان يسأل الله سبحانه وتعالى له الرحمة على مشايخه وان يترضى على مشايخه ويترضى عن جميع اهل السند .الى غير ذلك من الادعية التي ناسب ان يأتي بها في مقدمة درسه .وكان بعضهم يؤخر ذكر نفسه في الدعاء عن الحاضرين تأدبا وتواضعا .لكن الدعاء لنفسه قربة وبه اليه حاجة، والايثار بالقرب وما يحتاج اليه شرعا خلاف المشروع .يعني لا ينسى نفسه من الدعاء لان الشيخ كما يدعو له مشايخه بالترضي وبالرحمة كذلك يدعو ويسأل الله سبحانه وتعالى لنفسه التوفيق والامداد ويؤيده قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وهذا الحديث وان ورد في الانفاق فان المحققون يستعملونه في امور الاخرة .وبالجملة فالكل حسن وقد عمل بالأول قوم وبالثاني آخرون .ثم انتقل الى النوع الخامس فقال الخامس اذا تعددت الدروس قدم الاشرف والاشرف والاهم فالاهم يعني إذا كان شيخه له في يومه أكثر من درس يعني يكون له مثلا درس في تحفيظ القرآن ودرس في سرد الاحاديث ودرس في علم العقيدة ودرس في علم المنطق ودرس في علم الفقه مثلا كان له يعني جدول معين فيه اكثر من درس فمن الادب يعني من العادة ايضا التي جرت على عند اهل العلم انهم يقدمون الاشرف في الاشرف فيبدأ بحصة القرآن لانه لا كلام افضل بعد كلام الله سبحانه وتعالى.

كلام الله اشرف كلام فيبدأ بتدريس القرآن ثم يبدأ مثلا بتدريس سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا .فقال فيقدم تفسير القرآن ثم الحديث، ثم اصول الدين، ثم اصول الفقه ثم المذهب .يعني

المذهب الفقهي فروع الفقهية .ثم الخلاف او النحو او الجدل .الى غير ذلك .وكان بعض العلماء الزهاد يختم الدروس بدرس رقائق يفيد به الحاضرين تطهير الباطن .ونحو ذلك من عظمة ورقة وزهد وصبر .فان كان في مدرسة ووقفها في الدروس شرط اتبع .ودائما يكرر القاضي ابن جماعة هذا الشرط يعني ان كان هناك شرط في المدرسة التي تدرس فيها انه بعد او في ختام كل درس تذكر موعظة او تذكر لطيفة ورقيقة يتنور بها الحاضرون .فلا بأس ان تلتزم بهذا الشرط ولكن هذا من الامور الحسنة اصلا فاغلب مشايخنا كنا اذا حضرنا في دروسهم بين الفينة والاخرى يعني مثلا في خلال الدرس واثناء الدرس يسوقون لنا حكمة او رقيقة او نصيحة اولا كي يغير الجو ويغير الحال، فمثل هذا القطع يشحذ الهمة ويشحذ العزيمة وايضا كي يبثوا في قلوبنا الاخلاق والتربية حتى وسط الدرس العلمي .وان كان علم منطق يعني وان كان درس من الدروس العقلية التي هي دروس منطقية عقلية جافة يبثون في وسطها الرقائق والاداب حتى يذكروننا بان المقصد الاسمى هو التخلق باخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخل بما هو اهم ما بنيت له تلك البنية ووقفت لاجله .كذلك من الاداب ان لا يكون درسنا مثلا درسا فقهيا ولكن لا يكون حظ حظنا من الفقه الا عشر الوقت وبقية الوقت نجعلها في الادب والاخلاق.

لا هذا لا يناسب الطلاب .جاؤوا كي يتعلموا الفقه فلا بأس ان يكون اغلب الوقت للفقه .ثم يتخلل وسط الدرس نصائح ولطائف وفوائد حتى بلاغية فوائد نحوية فوائد تذكر زاوية تربوية .لا ان نهمل او الاهم ونهمل المقصود بالذات في هذا الدرس .ان كان درس فقه او درس نحوي وننشغل بكلام اخر مثلا في علوم اخرى .اما اذا كان الكلام الخارج عن الدرس كلام يتعلق بالامور الدنيوية او بامور السياسة فهذا ممنوع منعا باتا ويكرهه مشايخنا كرها شديدا .الولوج والدخول في الامور الدنيوية والامور السياسية .هذا لا يليق بمجلس العلم .ويصل في درسه ما ينبغي وصله .ويقف في مواضع الوقف ومنقطع الكلام .ولا يذكر شبهة في الدين في درس .ويؤخر الجواب عنها الى درس اخر. يعني مثلا يسأل طالب سؤالا فيه شبهة او تعترضه في الكتاب كلام قد يكون فيه شبهة ثم يقول نؤجل

الجواب الى الدرس الاخر لا لان من من الوقت من هذا الدرس الى الدرس الاخر قد تلج هذه الشبهة قلوب الحاضرين خاصة ان كانت طلاب طلاب مبتدئين فناسب ان اذا اعترضت الشيخ شبهة يجيب عنها بالوقت بل يذكرهما جميعا او يدعهما جميعا ولا يتقيد في ذلك بصنف يلزم منه تأخير جواب الشبهة عنها لما فيه من المفسدة لا سيما اذا كان الدرس يجمع الخواص والعوام .وينبغي ان لا يطيل الدرس تطويلا يمل ولا يقصره تقصيرا يخل ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين في الفائدة والتطوير .بصراحة هذه نقطة مهمة ومن اكثر النصائح التي سمعتها من شيخي حفظه الله تعالى ان هذا الزمان وهذا العصر عصر السرعة عصر السرعة فكل شيء كما يقول قال كل شيء صار سريع، القهوة سريعة اكل سريعة يقول فاست فود كل شيء سريع، قطع قطار سريع، كل شيء صار سريعا حتى مجلس علم ناسب يعني ان يلائم عصر السرعة.

لماذا؟ قالوا لان خاصة اذا كان اذا كنا نعيش في بيئه فيها التحضر والتمدن اكثر من غيرها فالمشاكل كثرت .يعني ممكن لا نتحدث عن المجالس التي يحضرها المتفرغون لطلب العلم نتحدث عن المجالس العامة في المساجد .المجالس التي يختلط فيها طالب العلم مع المهندس مع الطبيب مثل الخطبة الان لا اصلا من السنة عدم التطويل في الخطبة وايضا في الدرس يا اخواني الذهن صار مشتتا في هذا الزمان المتزوج والذي عنده اولاد والذي ممكن غير متفرغ يكون له مشاغل وتجارة الى غير ذلك فلا يمكن ان يركز معك اكثر من عشرين دقيقة نصف ساعة حتى اذا كان درسك يتطلب على الاقل يتطلب اكثر من نصف ساعة فلا يعني حرج ان تفصل كل ربع ساعة بقراءة شيء يرقق القلوب وبذكر قصة تشحذ وتجدد النشاط كما قلنا لكل مقام مقال .خاصة في هذا الزمان .لذلك يعني نحن طبقنا هذا الشيء خاصة في نظام التعليم عن بعد .ورأيتم أن الدروس لا تفوت العشرين دقيقة .لأن النفوس تكل وتمل .والانشغالات كثرت .ونحن نريد ان نصل الى المقصود .المقصود ليس كثرة الكلام المقصود الوصول الى النتيجة وهي حصول الافادة وحصول الاستفادة مع التركيز الكامل. ننتقل الى النوع السادس وهو قوله ان لا يرفع صوته زائدا على قدر الحاجة ولا يخفضه خفضا لا

يحصل معه كمال الفائدة .هذا ايضا من ادب الخطيب ومن ادب الشيخ ان لا يكون صوته مرتفعا من اول الدرس الى آخره وان لا يكون منخفضا من اول الدرس الى اخره.

الاصل ان يرفع صوته وقت الحاجة وان يخفض صوته وقت الحاجة .ودائما نتحدث عن الاصل. الاستثناءات تقبل .يعني مثلا انا درست عند مشايخ يعني طباعهم هكذا صوتهم عال حتى في حديثه العادي لا نتحدث عن الدرس حتى في حديثه العالي فلا نقول يعني لماذا هذا الشيخ لا يتأدب بمثل اداب الدرس بان يخفض تارة ويرفع صوته تارة لا هذا طبعه .ودرسنا ايضا عند مشايخ بالكاد نسمع صوته نقصد يعني هو شيخ يعني متواضع صوته منخفض حتى اذا تكلمت معه في الهاتف او مباشرة يكون صوته منخفض، هذا صمته هذا طبعه هذا ادبه فلا يعني يلاحظ لكن اذا كان الاستاذ ليس من طبعه لا هذا ولا ذاك فناسب ان يعرف متى يرفع صوته ويعرف متى يخفض صوته .وروى الخطيب في الجامع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب الصوت الخفيض ويبغض الصوت الرفيع .قال ابو عثمان محمد بن الشافعي ما سمعت ابي يناظر احدا قط فرفع صوته .قال البيهقي اراد والله اعلم فوق عادته يعني الذي هو الصراخ والصياح والاولى ان لا يجاوز صوته مجلسه .انا امامي اربع طلاب ما الفائده ان ارفع صوتي حتى يصل صوتي صداه الى قسم اخر او الى قاعه اخرى ما الفائده امامي طالبان امامي ثلاثه امامي اربعه امامي قاعه ممتلئه وليس عندي مايك مثلا ويجب ان ارفع صوتي اكثر من العاده حتى يسمعني من في اخر القاعه .القاع .نعم هذا مناسب .المقصود هنا رفع الصوت لغير حاجة .فان حضر فيهم ثقيل السمع فلا بأس بعلو صوته بقدر ما يسمعه.

فقد روي في فضيلة ذلك حديث .يعني قال لعله يشير الى قول النبي صلى الله عليه وسلم اسماع الاصم صدقة .يعني اذا كان انسان سماعه ثقيل فلا بأس ان نرفع صوتنا كي يسمعني هذا الطالب. ثقيل السمع يعني .ولا يسرد الكلام سردا .بل يرتله ويرتبه ويتمهل فيه .يعني لا يقرأ الكتاب هكذا

يعطي لكل حرف حقه .ولكل موضع حقه ليتفكر فيه هو وسامعه .قد روي ان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فصلا .يعني اذا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم استطعت بكل سهولة ويسره ان تميز بين كل حرف .لماذا؟ لان كان كلامه فصلا كان يتكلم بتؤدة وبتأن يفهمه من سمعه وانه كان اذا تكلم بكلمة اعادها ثلاثا لتفهم عنه .يعني مثلا من لم يسمع المرة الاولى يسمع في الثانية ومن لم يسمع الثانية يسمع في الثالثة، ومن لم يفهم الكلام كله من المرة الاولى يفهمه في الثانية، ومن لم يفهم في الثانية يفهمه في الثالثة .وما تكرر تقرر .واذا فرغ من مسألة او فصل سكت قليلا حتى يتكلم من في نفسه كلام عليه لان سنذكره ان شاء الله تعالى انه لا يقطع على العالم كلامه فانه اذا لم يسكت هذه السكتة ربما فاتت الفائدة .اشار المؤلف هنا الى شيء مهم وهو ان الأصل اذا بدأ الشيخ والاستاذ يسترسل في كلامه حول مسألة ما فلا يجوز على طالب العلم ان يقطع كلام الشيخ حتى لا يقطع حبل افكاره وتفوتنا الفائدة وتفوتنا الفوائد ليس الفائدة .لذلك من ادب الشيخ انه اذا انتهى من مسألة ما سكت قليلا حتى يترك فرصة للطلاب ان يسألوا وان يستفسروا عن الاشياء التي استشكلت عندهم.

ثم انتقل الى النوع السابع فقال ان يصون مجلسه عن اللغط فان الغلط تحت اللغط وعن رفع الاصوات واختلاف وجهات البحث .وقال الربيع كان الشافعي اذا ناظره انسان في مسألة فعدل الى غيرها يقول نفرغ من هذه المسألة ثم نصير الى ما تريد .يعني خلاصة هذا الكلام ان من اداب الشيخ ان لا يخرج عن الدرس وعن مضمون الدرس الا لحاجه او ضروره .لكن مثلا نحن ندرس الان في ماده الفقه وياتيني سؤال حول علم ما مثلا سؤال في الحديث لا اجيب عنه يعني نقول دعنا نظل في درسنا حتى لا تتشتت الاذهان .وايضا الشيخ يعني نحن في درس فقه فلماذا كثرت فتح الاقواس مره نتحدث في امور بلاغيه ومره في امور حديثية حتى يعني يكاد ان يهمل الماده العلميه التي بصدد درسها ودراستها وهي الفقهيه قلنا الا لضروره ويتلطف في دفع ذلك في مبادئه قبل انتشاره وثوران النفوس يعني الاصل ان يرد رد السؤال خارج الموضوع .ان يرده بلطف مثلا .سنجيب عنه بعد الدرس ان

شاء الله .هذا كلام خارج عن الدرس .نجيب عنه في محله المناسب .يعني في درسه المخصص له. وهكذا .دائما الترفق بطلاب العلم اولى .ويذكر الحاضرين بما جاء في كراهية المماراه لا سيما بعد ظهور الحق .وان مقصود الاجتماع ظهور الحق وصفاء القلوب وطلب الفائدة حتى ولو كان من الشيخ .يعني الشيخ ليس بمعصوم قد يخطئ في حكم فقهي وقد آآ يعني يصحح ويصوب له احد الطلاب النجباء بكل ادب وبحكمة .فيجب على شيخي ان يمتثل وان يرجع الى الصواب لا ان يتمادى في الغلط لانه قد يشعر بالاستنقاص .لا بالعكس الرجوع الى الحق فضيلة كائنا من كان.

ثم ننتقل الى النوع الثامن ويقول .ان يزجر من تعدى في بحثه او ظهر منه لدد في بحثه او سوء ادب او ترك انصاف بعد ظهور الحق او اكثر الصياح بغير فائدة .او اساء ادبه على غيره من الحاضرين او الغائبين .الاستاذ والمعلم .هو مسير الجلسة .هو الذي يتحكم في الجلسة .هو الذي يأذن لكل طالب متى يتكلم .ومتى يسكت .ومن يقرأ .وهو الذي يحافظ على ناموس مجلس العلم .واداب مجلس العلم .فلا يدع اي خرق .واي حائل بين سكينة المجلس واداب المجلس .وبين الطلاب والحاضرين .فاذا اساء طالب من الطلاب الادب يزجره حتى لا يتمادى في غيه وفي سوء ادبه وحتى يذكر الطلاب ويذكر نفسه ان الادب قبل كل شيء فالاصل ان الشيخ هو الذي يحافظ على سكينه المجلس وعلى اداب المجلس وعلى اخلاق مجلس العلم فقال او يرفع نفسه في المجلس على من هو اولى منه او نام او تحدث مع غيره او ضحك او استهزا باحد من الحاضرين .هذه الاشياء تصدر من احد الطلاب مثلا او احد الحاضرين هذا يجب على الشيخ ان لا يدعه يقع وان يمنعه او فعل ما يخل بادب الطالب في الحلقه وسيأتي تفصيله ان شاء الله تعالى .هذا كله بشرط ان لا يترتب على ذلك مفسده تربو عليه هذه او هذا القيد قيد مهم .هذا لب الموضوع .دائما درء المفاسد اولى من جلب المصالح يعني مثلا هناك طالب او هناك احد الحضور يمكن حتى ان يكون مثلا اكبر من الاستاذ سنا اساء الادب تكلم بغير اذن والاستاذ قد يعلم من طبع هذا السائل او هذا المتكلم الغلظة والفظاظة وسوء الادب فهو يعلم

انه اذا زجره او منعه قد يتمادى في غيه ويشوش على الحاضرين وترفع سكينة وهيبه ووقار المجلس وقد يبدأ في الجدال وقد يبدأ في سوء الادب فيتجاوز عنه.

لماذا؟ درءا للمفسده فعلى الاستاذ والشيخ ان يكون حكيما كيسا فطنا وينبغي ان يكون له نقيب فطن كيس ذرب يرتب الحاضرين ومن يدخل عليهم على قدر منازلهم .هذا تقريبا يعني رأيناه في جميع مشايخنا كل مجلس علم لابد وللشيخ ان يكون له نقيب ينوبه يعني من انجب الطلاب واحرق الطلاب وافتن الطلاب ولابد لهذا النقيب ان يكون من الذين يفهمون الشيخ بالاشارة لا بالعبارة وان يكون من الملازمين للشيخ يعرف ما يحبه الشيخ وما يكرهه الشيخ فتجد هذا الطالب وفي الغالب يكون من السابقين يعني من اقدم واسبق الطلاب فهذا الطالب هو الذي ينظم الجلسة .الشيخ .يعني ليس من مهمته ان يقول تعال اجلس هنا وتكلم ولا ان النقيب والنائب وهذا الطالب هو الذي يجلس الطلاب فيقدم السابقين ويقدم اهل القران ويقدم المجتهدين ويجعل في الصدارة المشايخ وكبار السن الى غير ذلك .فاذا شعر هذا النقيب بالشيخ انه يريد حاجه يسبقه قبل ان يتكلم وهكذا حتى يكون المجلس يسير بسلاسة بسكينة ووقار .قال يرتب الحاضرين ومن يدخل عليهم على قدر منازلهم ويوقظ النائم .يعني اذا شعر النقيب ان هناك من الطلاب من يغلبه نومه يوقظه حتى قبل ان يشعر يشعر الشيخ .يعني حتى يتجنب غضب الشيخ ويشير الى من ترك ما ينبغي فعله او فعل ما ينبغي تركه ويأمر بسماع الدروس والانصات لها .نكتفي بهذا القدر .وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين .والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.